قرون ، ولكن هذا النظام اضعفهم وقضى علـى ما فيهم من صفـات الشجاعة والإقدام . وهكذا تجرأ إيڤان الثالث على أن يرسل هدايا بدلاً من الإتاوة المعتادة ، ورداً على مطالب الخان قضى بإعدام من ارسلهم اليه من السفراء . فلجأت القبيلة الذهبية عندئذ الى السلاح ، ولكنها عندما اصبحت في مواجهة الجيش الموسكوفي أدركها الخوف ورفضت القتال وقام جنود الخان فقتلوه .

وبعد ذلك استولى جيش إيڤان على قازان واختار من بـين التتر واحداً لحكم مقاطعة الفولغا ، وازدادت قوة موسكو زيادة عظيمة واضاف إيڤان الثالث الى شعاراته النسر ذا الراسين الذي يتطلع الى الغرب والشرق ، الى أوروبا وآسيا في الوقت نفسه . ومات إيڤان عام ١٥٠٥ تاركاً ابنه ڤاسيلي الثالث وريثاً له من بعده .

وڤاسيلي الثالث هذا هو والد إيڤان الرهيب . وكان قد تزوج من امراة روسية ، ولكن بما انها لم تنجب له ولداً خلال عشرين سنة من الزواج فإنه أدخلها أحد الأديرة وتزوج امراة ليتوانية اسمها هيلـين غلينسكي تنتسب الى عائلـة كاثوليكية ، لذلك لـم تعترف الكنيسة الأرثوذكسية بهذا الزواج ولم تشأ ان تعترف بطلاقه من زوجته الأولى. عند ذلك لجأ ڤاسيلي الثالث الى بطريرك القدس يطلب منه الرأي ، فلم يعترف هـذا بدوره بالـزواج بل تنبأ له كما يروى بأوخم العواقب : « سيكون ابنك خبيثاً وسيجتاح الرعب ممتلكاتك وستجري أنهار من الدم وستذل رؤوس الأسياد وتفترس مدائنك النار » .

وقد دام حكم ڤاسيلي الثالث عشرين عاماً عاد خلالها التتر الى قرب أبواب موسكو فأبعدوا عنها بالأموال وعقد الدوق الكبير معاهدة جديدة اعترف فيها بتبعيته لهم . وذهب التتر البلاد وعادوا محملين بالغنائم عندما هاجمهم ڤويڤود أمير ريازان فهزمهم واجبرهم على عقد الصلح ولم تعد موسكو تدفع الجزية وأصبح بإمكانها أن تغدو امارة أوروبية منذ ذلك الحين .